تغريبة جعفر الطيار

مسرحية شعرية قصيرة في مشهدين

بقلم: يوسف وغليسي*
الجزائر

المشهد الأول

* **النجاشي:** من أنت يا هذا المسربل بالشكوكْ؟
* **جعفر:** أنا «جعفر الطيار»[1] جئت مع الرياح على
جناح الرعب يا خير الملوكْ ...
* **النجاشي:** من أين جئت ؟ وما تريدْ؟!
* **جعفر:** إني أتيتك من بلاد النار .. من وطن الحديدْ !
شيعت أحلامي وأحبابي .. صباي .. وكل ما
ملك الفؤاد .. وجئت كالطير المهاجر أبتغي وطنا
جديد!
* **النجاشي:** هل من مزيدْ ؟!
* **جعفر:** أنا «ذو الجناح»[2]، كما ستعلم سيدي !
الليل عمّر موطني ..
والبرد لف جوانحي..
وأنا هنالك في الضحى
متشبث بالنور .. بالشمس المصادر دفؤها..
بالدفء في وطني المكبل بالجليدْ!
(الروم روم ..)[3]، والرفاق تشتتوا، وتنكروا
لتجدد العهد السماوي التليدْ ...
وتحالفوا ضدي، لأني كنت دوما عن طريقي لا
أحيد!...
لفظتني الأحلام في فج بعيد...
وتقيأتني الأرض إذ شربت دمي..
كل الدروب إليك مفضية، لأنك
ملجأ الأحرار من كون العبيدْ...
هاجرت من جسدي الشهيد إليك روحا
لاجئا يا أيها الملك السعيدْ
* **النجاشي وأساقفته (يهتفون):**
– أهلا وسهلا بالفتى العربيِّ..
مرحى عندنا..
نورت مملكة النجاشيِّ المرصع بالعدالة
والسعادة والهنا..
نورتها .. نورتنا ...
* **النجاشي:** (هامسا في أذن جعفر):
– حدثني عن أحوالكم ..
ونظام حكم بلادكم؟!
* **جعفر (في نفسه):**
– حالي أنا ؟!
أحوالهم ؟!
أحوالنا ؟!
ونظام حكم بلادنا ؟!!!
* **ثم يجهر:**
– من أين أبدأ في الحديث وفي الجوى؟!
ماذا أحدث عن شتاء طالنا؟!
أنا حبة من ألف سنبلة يغالبها الفناء، وفوقنا
صقران يقتتلان يا ملك البلادِ
ويهويان على سنابل حقلنا!
لا غالبٌ إلا الخراب ولا ضحية غيرنا!
خصمان يختصمان في بلد الأمانِ
يشردان حمامنا ..
والكون يرقص ضاحكا من حولنا
ويقيم حفل زوالنا!
يزهو على أشلائنا وجراحنا
يلهو ويسكر، بالمنى نشوان، نخب سقوطنا
وسقوط أصل قيامنا!!!
* **النجاشي:** – شجنٌ ... شجنْ
بل فتنة نقشت بذاكرة الزمنْ
من ذا رأى
قلبين في جوف الوطنْ؟!

تبا لكل حكومة زرعت مساحتها
بألغام التهور والتجبر والتحزب والفتنْ...
تبا لمنْ
زرع الرياح وما جنى
إلا العواصف والمحنْ...

* **جعفر:** هلا سمعت بدولتينْ
في دولة يا سيدي؟!
* **النجاشي:** أبدا، ولكن .. ربما..
فلعل فيها حاكمين !!!
* **جعفر:** بل حاكما لو خيِّرا
لاختار حكم العالمين !!!
* **النجاشي:** والحكم فيها ؟
* **جعفر:** بينَ بينْ ؛
للحاكم المختار تعذيبي ونفيي..
والبقية – لو تبقى – من دمي للآخرين !...
* **النجاشي:** عفوا، فإنك من بلاد «الجبهتين»!
* **جعفر:** آه نعم .. أنا من بلاد الجبهتين ...
أنا من بلاد قيل تفتح مرتين !
سفحوا دمائي .. صادروا بلدي الموزعَ
في اليسار وفي اليمين !
استأصلوا حلمي وذاكرتي بتهمة أنني
ما كنت في «عير» الخنا
أو في «نفير» الخائنين!...
* **النجاشي:** يكفي بنيَّ فإنني
أستاء من ذكر الخيانة والخنا ..
يكفي فقد جرّحتني
وغمرت قلبي بالضنى
أيقظت في قلبي (المسيح) وأهله
ذكرتنيه وما جنى ...
هلاّ استرحت، أيا فتى، وأرحتنا
بتلاوة مما تيسر من مزامير المنى؟...
* **جعفر:** إن شئت يا ملك البلاد، فقل:
ورودا جئت أزرعها هنا!
* **النجاشي:** القول قولك يا فتى
والفعل لي وحدي أنا!
* **جعفر:** فلتصغ ولتنصت أيا ملك البلاد:
(كافٌ وهاءٌ ثم ياءٌ ثم عينٌ ثم صادٌ)[٤].
هذي الحروف أردتها
علما يرفرف فوق أصقاع البلادْ!...

* **النجاشي:** (محجِّلا[٥] – في ذهول – حول جعفر):....
* **جعفر:** (متفاجئا):
مالي أراك محجلا وميمما
بالطرف نحوي تارة ..
أو نحو أرجاء السما؟!
* **النجاشي:** لله درك يا فتى ..
ذكرتني (العهد الجديد) ملونا ومفصلا ومتمما ..
ما أشبه الأسفار بالأسفار يارب الحمى ..
يا وحدة المشكاة يا نورا همى ..
(فجأة يدخل عمرو بن العاص ومرافقه، بعد إذن الملك) .
* **عمرو:** إنا أتينا من بلاد العُرب والبربرْ..
جئناك في شأن الفتى
جعفر!!!
* **النجاشي:** يا عمرو عد
من حيث جئت
ولأُتمار ...
* **عمرو:** عفوا أيا ملك
البراري ..
أولا سبيل إلى
التفاوض والحوار؟!
* **النجاشي:** لا .. ثم لا ..
أبدا .. ولا .. هذا قراري ..
أنا سيد الأحباش
لا تلهب أواري[٦]
* **عمرو:** هذي الهدايا من
نصيبك سيدي..
خذها رجاء .. ثم نفذ
لي اختياري...
* **النجاشي:** عد يا (ابن
عاص) رافقتك سلامتي
أنا لا أساوم بالهدايا
والجواري..
يا عمرو عد ..
ودع الغلام إلى
جواري

(يعود عمرو بن العاص وصاحبه من حيث جاءا خائبين).

* **جعفر:** لا فض فوك
يا أعدل الحكام .. يا تاج الملوك ...
تلك الممالك مالها
لو نصبتك أميرها
لأعدت أسراب الحمام لوكرها ..
وأعدت وصل خليجها بمحيطها
وأعدت حُلما خانها ...
تلك الفصائل ليتها
قد زُلْزلت زلزالها !...
* **النجاشي:** لكنها .. يا حظها
قد ورَّثت فيكم ولاة عهودها
أو فرَّخت أجيالها...
* **(جعفر والنجاشي يستسلمان للنوم)**
– ستار –

المشهد الثاني

* **جعفر:** (يهب من نومه مذعورا):
يا سيدي !.. يا سيدي !.. يا ..
قم تر ...
* **النجاشي:** ماذا أرى؟!
* **جعفر:** آه يا ملك الورى ...
* **النجاشي:** ماذا جرى ؟!
* **جعفر:** حلم تخطَّفني..
فأيقظني .. وسافر في الكرى!
* **النجاشي:** ماذا رأيت ؟!
* **جعفر:**

إني رأيت بمـــوطن ملكين قـا
ما، بعد طول تنازع، فتحـــــاورا
ملكين يروى أن هذا قـــد «تأبـ
ـط شره»، لكنّ ذاك «تشنفـــــرا»!
وتبادلا علم البلاد وأعلنـــــا
حكما يكون تداولا وتشـــــاورا
كل الحـــروف تعـــربت فتلألأت
وتلون الوطن المكحل أخضـــــرا
واللاجئون رأيتهم يتنزلـــــو
ن من الجبال .. من المدائن .. والقرى
ورأيت أسراب الحمام تـــوافدت
ورأيتني بين الحمائم طائـــــرا

وسمعت صوتا هاتفا : ألأسر بالسـ
ـلم المغرد في السماء وفي الثـــرى ؟
أمْ..

* **النجاشي:** أمْ تُرى ...؟!
* **جعفر:** بقدوم طيار الخلائق جعفرا ؟![٧] ...
* **النجاشي:** حُلْم سعيدٌ يا فتى..
حلم كأنه من بلادك قد هبطْ !..
* **جعفر:** يا ليته فيها تجلى أو سقطْ..
لكنه، يا حسرتي، حلْم فقطْ !..
بيني وبينه ألف أخدود ووادْ..
حلم يهدهدني قليلا ..
ثم يفتح مقلتيَّ على السهادْ !
حلم و «دونه – سيدي – خرط القتادْ»!..
* **النجاشي:** لا يافتى !
دعنا من الهذر الملبد بالسوادْ!
* **جعفر:** هي ذي الحقيقةُ سيدي..
حلم، وليس لنا سوى الأحلامِ
مأوى من براكين البلادْ !..
– ستار –

الهوامش:

(١) هو جعفر بن أبي طالب (ت ٨ هـ) الصحابي الهاشمي الشهيد، قاد الهجرة الأولى بأمر من النبي ﷺ هربا من إيذاء المشركين إلى مملكة الحبشة .

(٢) «ذو الجناحين» لقب لجعفر، لقبه به النبي ﷺ.

(٣) إشارة إلى قول جعفر (وهو يقاتل جيوش الروم في موقعة مؤتة):

يا حبـــذا الجنة واقـــترابهـــا
طيـــبـــة وباردا شـــرابهـــا
والروم روم قـــد دنا عـــذابهـــا
كـــافـــرة بعـــيـــدة انســـابهـــا

(٤) يُروى أنه حين طلب النجاشي من جعفر بن أبي طالب شيئا مما جاء به النبي ﷺ عن الله تعالى، قرأ عليه جعفر آيات من «كهيعص» (سورة مريم)، فبكى النجاشي (وأساقفته)، وقال: إنّ هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة.

(٥) يُروى أن النبي ﷺ – ذات موقف – لم يرقه ما رآه من تحجيل جعفر (رضي الله عنه) حوله، فقال له مستنكرا: ما هذا يا جعفر؟! فأجابه: «يا رسول الله، كان النجاشي إذا رضي عن أحدٍ حجَّل من حوله»...

(٦) أُوار: شدة الغضب.

(٧) يروى أنه حين عاد جعفر من الحبشة، عانقه النبي ﷺ وقبله من جبينه، وقال:«ما أدري بأيهما أنا أسر، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر»...